بسم الله الرحمن الرحيم

تاريخ الخط العربى

العرب من أبناء سام بن نوح عليه السلام باتفاق، فلغتهم سامية، وخطهم سامى : وهم أهل الجزيرة المضافة اليهم بالجنوب الغربى من قارة آسيا، عمروها منذ العصور المتوغلة فى القدم . فهى مهدهم الذى أظلتهم سماؤه، ووطنهم الذى اقلتهم أرضه . وفيها نشئوا وأنشئوا دولهم وممالكهم وأماراتهم ومدنهم وقراهم، وانتشرت قبائلهم ومتاجرهم فى أطرافها، ومنها هاجروا — لأسباب مختلفة — من بعض أطرافها الى بعض، ومنها الى مايحيط بها من الاقاليم، ثم تجاوزوها مع الفتح الاسلامى الى أهم بلاد الدنيا القديمة من أفريقية وآسيا وأوربا .

وقد يكون من المهم — والعرب من الأمم السامية — أن نعرف أنه كان لسام بن نوح عدة أولاد نذكر منهم .

(١) أرنخشذ — وهو ابو العرب والعبرانيين معا — اذ كان من ذريته قحطان ابو عرب اليمن، وعابر وهو جد ابراهيم الخليل عليه السلام، أى جد العبرانيين أو بنى اسرائيل، واسرائيل هو يعقوب ابو الاسباط وابراهيم ابو اسماعيل عليه السلام واليه تنسب العرب العدنانيه .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله حمداً يوافى نعمه ويكافىء مزيده ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد النبي الامى وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه وسار على سننه .

وبعد : فقد عنى أولو الأمر فى وزارة المعارف العمومية بانشاء قسم فى دار العلوم — حفظ الله مبناها ومعناها — يستكمل فيه أبناء هذه الدار من المتخرجين والطلاب استجادة الخط العربى ؛ ويستزيدون على ما عهدوا من أنواعه فروعا أخرى مما يكثر استعماله ؛ دقيقاً بالأقلام المألوفة على الورق ؛ أو جليلا بالطباشير على السبورة ، مع دراسة كيفية تبسيط الحروف وتقريب دقائقها ؛ وتأليف الكلمات والجمل تأليفاً فنياً يجمع إلى حسن التنسيق جودة الكتابة ؛ وإلى جمال الخط سلامة الذوق — وهذا إلى الاحاطة بتاريخ الخط العربى وكيف نشأ ، والأدوار التى تنقل فيها ؛ والمراحل التى قطعها إلى أن بلغ أشده واستوى : وصار أشكالا من الصور ، وألوانا من الأنواع .

وكنت قد ألقيت على طلبة هذا القسم فصولا قصارا فى تاريخ الخط وأسسه التى بنى عليها ؛ ومصادره التى استمد منها ؛ فرأيت أن أدونها فى هذا الموجز لينتفع بها أولا طلبة شهادة الامتياز فى الخط العربى من أبناء دار العلوم ، وثانياً من يريد الاستزادة من الثقافة فى الآداب العربية من عامة المتعلمين .

وقد عززت ما كتبت من هذه الفصول بالمصورات الجغرافية والكتابات الأثرية ليكون القارىء على بينة مما يقرأ ، وتكون لديه بمنزلة الشواهد ؛ والأمثلة من القواعد .

وقد اعتمدت فيما كتبت على كشف الظنون وصبح الأعشى ؛ ثم على ما أمكننى الحصول عليه من بحوث المستشرقين ومن أخذ عنهم من أهل المشرق ، وأنا على تمام اليقين من أن هذا الموضوع لما يستوف حظه من البحث ، وأن ما كشف من مصادره لا يزال أقل من القليل ، وقد يكشف البحث والتنقيب فى الاطلال والصخور عن جديد يعضد ما عثر عليه إلى الآن ؛ أو يكمل الحلقات المفقودة أو شبه المفقودة من خطواته ، أو يهدمه من أساسه ، ويملى على الباحثين صورة جديدة من الاتجاه فى البحث والاستنباط . والله ولى التوفيق ، نسأله أن يجنبنا الشبهة ، ويعصمنا من الحيرة ويهدينا إلى الحق وإلى طريق مستقيم .

دار العلوم فى ربيع الثانى سنة ١٣٦١

محمد فخر الدين

مطبعة الفتوح لصاحبها على يعقوب بالخليج قنطرة عمر شاه بالرشيدية بمصر

بسم الله الرحمن الرحيم

تاريخ الخط العربى

العرب من أبناء سام بن نوح عليه السلام باتفاق، فلغتهم سامية، وخطهم سامى: وهم أهل الجزيرة المضافة اليهم بالجنوب الغربى من قارة آسيا، عمروها منذ العصور المتوغلة فى القدم. فهى مهدهم الذى أظلتهم سماؤه، ووطنهم الذى اقلتهم أرضه. وفيها نشئوا وأنشئوا دولهم وممالكهم وأماراتهم ومدنهم وقراهم، وانتشرت قبائلهم ومتاجرهم فى أطرافها، ومنها هاجروا — لأسباب مختلفة — من بعض أطرافها الى بعض، ومنها الى مايحيط بها من الأقاليم، ثم تجاوزوها مع الفتح الاسلامى الى أهم بلاد الدنيا القديمة من أفريقية وآسيا وأوربا.

وقد يكون من المهم — والعرب من الأمم السامية — أن نعرف أنه كان لسام بن نوح عدة أولاد نذكر منهم.

(١) أرنخشذ — وهو ابو العرب والعبرانيين معا — اذ كان من ذريته قحطان ابو عرب اليمن، وعابر وهو جد ابراهيم الخليل عليه السلام، أى جد العبرانيين أو بنى اسرائيل، واسرائيل هو يعقوب ابو الاسباط وابراهيم ابو اسماعيل عليه السلام واليه تنسب العرب العدنانيه.

ومن قحطان كان يعرب ، ومن يعرب كانت سبأ ، ومن سبأ حمير أصحاب الخط المسند ومن حمير كان تبابعة اليمن ، وقد انتشر القحطانيون فى أطراف الجزيرة العربية كالحجاز ونجد وتهامة ، وامتزجوا بالعدنانيين ، كما نزحت طوائف منهم إلى بلاد العراق والجزيرة كالتنوخيين ، ومن أحدثوا للعرب ملكا هنالك كاللخميين والمناذرة أهل الحيرة والانبار ، ونزحت طوائف أخرى إلى بادية الشام كالقضاعيين ، ومن بنوا للعرب ملكا فى هذه النواحى كالغسانيين .

(٢) إرم أو آرام — وهو ابو الآراميين الذين امتد ملكهم على بلاد سورية وفلسطين وبادية الشام وما يتصل بها شرقا من بلاد الفراتين إلى الخليج الفارسى ، وكان لهم فى هذه البقاع ممالك ، لكل مملكة استقلالها ، وكان من أعزها دمشق ، وقد انتشرت لغتهم وخطهم بين جميع الشعوب التى استوطنت بين البحر المتوسط وبلاد إيران ، وكان لكل ناحية من هذه النواحى لهجة أهمها الآرامية الشرقية فى بلاد العراق والجزيرة . واللهجات الآرامية العربية ، فى سوريا وفلسطين وطور سيناء .

ومن الأولى لهجات تدمر ولهجات الرها أو اللهجة السريانية وخطوطها متقاربة على ماسيجىء — ومن الثانية اللهجات النبطية ، والخط النبطى فى البتراء ، والنبطى فى العراق كالسريانى فى الرها ، تعتبر كالمراحل

الأولى للخط العربي الذى نكتب به الآن .

(٣) اسور بالسين أو الشين ـ وهو أبو الساميين الذين استوطنوا بلاد العراق العربى والجزيرة الفراتية ، كالساميين الذين رحلوا إلى العراق قديماً وأغاروا على السومريين أصحاب الخط المسمارى واقتبسوا منهم خطهم، واستوطنوا أرض بابل وهم البابليون ، وكالذين أوغلوا فى أرض الجزيرة واستوطنوا نواحى اشور واستعملوا أيضاً الخط المسمارى وهم الاشوريون

هذا ما يؤخذ من سفر التكوين أحد أسفار التوراة ـ ولم يتعرض هذا السفر إلى الكنعانيين وهم الفينيقيون مع أنهم ـ فى أصح الأقوال ـ من الساميين المهاجرين إلى بلاد القدس أو الارض المقدسة، وإلى السواحل السورية التى فيها صور وصيدا وبيروت وجبيل وغيرها ـ ولغتهم سامية وكتابتهم سامية ـ كالكتابة المصريه المقدسة القديمة التى ظهر أنها سامية إذ أنها كتابة الغازين من الساميين الاسيويين لا كتابة أهل البلاد الأصليين .

والخلاصة ان الأمم السامية تجمع العرب والعبرانيين والآراميين (بما فيهم السريانيون والنبط فى الغرب والشرق) والبابليين والاشوريين ومن كانوا من أصول هؤلاء أو فروعهم ـ ولكل من هؤلاء لغة سامية وخط سامي يرجع كل منهما الى أصل واحد حينما كانوا مجتمعين ، فلما تفرقوا اختلف خطوطهم ، حتى صار لكل قبيل طابعه الخاص فى الخط ، كما صارت لهجة كل فريق على تمادى الأيام كانها لغة مستقلة ،

ومهما تباينت أصول بعضها عن بعض ، فانها لا تزال قرابة بعضها الى بعض قريبة ، ومشابهة بعضها بعضاً أكيدة وقوية ، تدل على وحدة الأصل فى الوطن الأول للساميين جميعا .

وليلحظ إجمالا أن السومرى أو المسمارى هو خط الساميين فى الجزيرة والعراق وهو خط عجيب معقد يخالف سائر الخطوط السامية بله العربية.

وأن الكنعانى الذى يشمل العبراني والفينيق أخذ منه الآرامى وتنوع الى سريانى وتدمرى ونبطى - ومن السريانى والنبطى البترائى والحيرى أو الأنبارى (النبطى العراقى) استمد الخط الكوفى . وهو أصل الخط العربى الذى بعد تهذيب كثير وتجويد وتحسين وتنويع ، صار الي أنواع الخط التى نكتب بها الآن .

نشوء الخط العربى

الخط العربى هو ما خطه العرب فيما كتبوه فى الصحف أو نقشوه على الجدران أو الصخور أو الصفائح المختلفة العناصر - سواء أكانوا من القحطانيين أم من العدنانيين ، ومن المعلوم أن لغة اليمنيين العربية غير لغة العدنانيين أو النزاريين أو المضريين أى أن لغة الجنوب من جزيرة العرب كانت غير لغة الشمال منها ، وإن كانت المهاجرة والمتاجرة والمصاهرة قد لعبت دوراً هاما فى نقض هذه القاعدة العامة ، وكذلك خط عرب الجنوب غير خط أهل الشمال ، وكله سامي وكله عربى.

وترجع أصول الخطوط السامية عامة الى الخط الهيروغليفي المصرى القديم ، ـ وكان المعروف الى زمن قريب أن الخط الكنعانى (الفينيقى) مستمد من الهيروغليفى مباشرة . لكن البحث والتنقيب فى العصور الحديثة دلا على أن بين الخطين هوة سحيقة ، وان كان الفينيقيون أخذوا عدة من الحروف المصرية واستخدموها على حالها تقريباً ـ وما زال علماء الآثار يجدون فى كشف الصلة بين الخطين حتى عثروا على نقوش فى سيناء بوادى المغارة عند سرابيت الخادم (يرجع تاريخها إلى ١٨٥٠ قبل الميلاد . أى أنها أقدم من أقدم نقش فينيقى بنحو ستة قرون) أخذت من المصرية مباشرة ، ثم هذبت شيئاً ما . وعن الخط السينائى هذا أخذ الفينيقيون هجاءهم وعنهم انتشر فى بقاع آسيا الغربية وأفريقية الشمالية وأوربا عامة فالعبرى القديم وما أخذ عنه . والارامى وما تشعب منه . والحميرى أو المسند وما اشتق منه ، والقرطاجنى فى افريقية والاغريقى وغيره من سائر الكتابات الأوربية كلها مشتقة من الفينيقى المشتق من السينائى المشتق من الهيرغليفى ولما كان الفينيقيون أهل تجارة فى البر والبحر ، والتجارة تحتاج دائماً إلى المكاتبات ، فقد نشروا مع تجارتهم هجاءهم فى بلاد شتى ، وعلى أصوله وضعت كل بلاد ما وافق ذوقها وبيئتها من أشكال هذا الهجاء . حتى صار لكل بلد فى ابتدائه طابع خاص ولما كان الفينيقيون يتجرون فيما يتجرون فى

الفيروزج ، وكان هذا الحجر يوجد في جهات سيناء ، ومنها دائرة سرابت الخادم، جهة بسبب اتصالهم بأهل سيناء ونقلهم مانقلوا من هجائهم المشتق من المصري كما سلف ، ولما كانوا يتجرون مع اليمن براً وبحرا ، نقلوا إلى هذه البلاد الراقية العمران هجاءهم ، واشتق اليمنيون منه الخط الحميري أو المسند ، وهم يزعمون أنه الخط المتصل بسند صحيح إلى كاتب الوحي للنبي هود عليه السلام. ومن المؤرخين من يعلل لهذه التسمية بأنه قائم كالعمد أو أن بين كلماته قوائم أو مساند كالعمد للبيت

وهذا المسند يكتب حروفا منفصلة ولهذا اضطروا إلى الفصل بين كلمات السطر الواحد بخط رأسي وهو يكتب من اليمين الى اليسار وهو خط عرب اليمن ، وقد ثبت أن الدولة المعينية باليمن هي التي استخدمته وهي قديمة العهد جدا ، والعرب أنفسهم لايعرفونها ، وقد كشف حديثا عن تاريخها من آثارها التي خلفوها في اليمن ـ وقفي على آثارهم في استخدام هذا الخط عامة القحطانيين .

وحروف المسند هي الحروف العربية كلها . فهو يزيد على الفينيقي هذه الحروف ، [illegible] ضظغ . ومن حروف المسند ما هو فينيقي بحت ومنه مادخله شيء قليل من التغيير ، ومنه ماأدخلت عليه تغييرات بعدت به عن أصله كثيرا يقول ابن خلدون : وقد كان الخط العربي بالغا مبالغه من الاحكام والاتقان والجودة في دولة التتابعة ، لما بلغت من الحضارة

والترف وهو المسمى بالخط الحميرى ، وهـذا بصددان الخط من عـداد الصنائع الانسانية وانها تابعة لدرجة العمران .

هذا .. ومن المسند اشتق الخط اللحيانى الذى كشف عنه بالشمال الغربى من مكة المكرمة فى أرض بنى لحيان حوالى عسفان وقديد، وقد وجدت آثار بطون منهم فى أرض ثمود وما يتصل بها إلى بلاد النبط ،واللحيانى لايختلف عن المسند إلا قليـلا ، وحروفه مفرقة فى الـكلمة مجردة من النقط والاعجام ، ويقرأ من اليمين الى الشمال .

ومن المسند اشتق الخط الثمودي الذى كشف عنه فى جهات العلا والحجر أو مدائن صالح أو ديار ثمود على الطريق بين الحجاز والشام شمال المدينة المنورة، وهو أيضا لايختلف عن اللحيانى غير أنه أقل رواء واحكاما فلهذا كان له طابعه الخاص .

ومن المسند اشتق الخط الصفوى المنسوب الى تلال الصفا ، وهي إلى الشمال الشرقى من جبل الدروز أو حوران ببلاد الشام ، وهـو أبعد ماوجد ضاربا إلى الشمال من الخطوط المشتقة من الحميرى .

وبالتأمل وجد أن أقرب هذه الخطوط إلى الأصل الفينيقى هو الصفوى ثم الذى يليه وهكذا إلى المسند ، الذى بما أدخل عليه من التهذيب والتحسين صار بصفاته الحديثة بعيدا عن أبيه الفينيقى فى بعض حروفه كماسلف والحديث من الخط المسند مزخرف مهندم عن المسند القديم

وهذه الخطوط كلها عربية ، وإنما اختلفت صورها قليلا أو كثير باختلاف الأماكن التى هاجرت إليها القبائل من اليمن فى عصور مختلفة ، كهجرة الأزد بعد سيل العرم مثلا ، وإذ قد علمنا كيف كان اشتقاق خط عرب الجنوب وما تفرع منه فلننظر بعد ذلك كيف اشتق خط عرب الشمال .

- إن جهات الحجاز ونجد لم يكشف فيها عن نقوش بالخط الذى كانوا يكتبون به ، ومن المحال فى بلد كمكة (وفيها البيت المحجوج من عصور سحيقة وهي من المراكز الفكرية فى الجزيرة العربية ، وحولها أسواق الأدب من عكاظ ومجنه وذى المجاز ، تلك التى كانت معارض سنوية تقصدها العرب من أطراف جزيرتها لعرض قصائدهم وحل مشاكلهم) أن تخلو من القارئين الكاتبين إلى حد الأمية المطلقة ، ولكن المعقول أن هؤلاء كتبوا حتما ، ولكن ذهبت كتابتهم ، وقد يكونون قد نقشوا أيضا ، ولكنه لما يكشف عما نقشوا ، وقد حدثنى بعض الثقات من المؤرخين المدققين أن الجهات التى كانت مساكن لليهود حول المدينة المنورة هى الآن أطلال وتلال ، ولو عنى أهل البحث بها فأزالوا ترابها عما تحته لوجدوا شيئا كثيرا من الآثار التى تخدم العلم وتكشف عن مسائل تاريخية مما يجهله التاريخ تمام الجهل ، فقد كان اليهود فى المدينة - قبل هجرة اليمنيين إليها - اهل ملك فخم يتداولونه

قرونا طويلة ، وكذلك كانوا أهل نعمة وثروة لايستهان بها . ـ ولنرجع إلى ماكنا فيه ونقول

إن أصل الخط العربي الذى نكتب به الآن مستمد او مشتق من الخط الكوفى ، وهو مشتق من الخط الحيرى او الانبارى الذى كان يكتب به المناذرة ملوك العراق قبل الاسلام ، وأكبر ظنى أن الحيرى أو الأنبارى هو خط انباط العراق الذين نزلوا جهات البطائح من أسفل الفرات فيما خلا من الايام ، فهو مرحلة أولى للخط الكوفى الذى كان أصلا للخط الاسلامي الذى نكتب به الآن كالنبطى كما سيأتى .

لقد علمنا أن المسند الحميرى مستمد من الفينيقى ، فلنعلم أيضا أن الآرامي صنو المسند أى أنه مشتق من الفينيقى ، واذ علمنا أن الآراميين كانت بلادهم ممالك وولايات ومدنا مستقلة ، وأن كل واحدة كانت لها لهجة ولها خط ، مع قرب مابين هذه اللهجات وهذه الخطوط فان خط الرها من هذه الولايات هو السريانى وخط تدمر هو التدمرى وخط البتراء وبلاد سيناء وما اليها هو النبطى وكلها متماثلة أو متقاربة الاوضاع متأثرة بالآرامية قليلا أو كثيرا ، وإن نحا بعضها منحى بعد به عن الآرامية ـ ويعتبر بعضها من مراحل الكوفى أو العربى الذى نكتب به الآن وبخاصة النبطى والسريانى .

أما النبطية فقد عثر فى النواحى الآتية على نقوش كثيرة نقتصر

منها على ما يأتى : ـ

(١) نقش النمارة الذى عثر عليه فى المفازة التى بين تلال الصفا وجبل الدروز ، وقراءة هذا النقش سهلة جدا على العربى ، لقرب خطها من الخط الكوفى .

(٢) نقش حران اللجا ، واللجا هضبة بركانية جنوبى دمشق غربى تلال الصفا وجبل الدروز . وخطه أدنى إلى الكوفى سابقه .

(٣) نقش زبد وقد عثر عليه فى البادية التى تقع جنوبى حلب بين قنسرين والفرات وهو أيضا بخط أدنى كثيرا إلى الكوفى .

وكلها أيضاً من النبطية الحديثة المتصلة الحروف ـ أما النبطية القديمة فهى التى عثر على نقوش منها فى العلا بالحجاز والبتراء فى سيناء وبصرى فيما وراء الأردن . وإنما تختلف عن النبطى الحديث بفصل بعض حروفها ووصل البعض الآخر ، ولكن من حروفها ما يماثل الحروف الكوفية ـ ويمكن أن نقول : ان النبطية قديمها وحديثها كانت مرحلة من مراحل نشوء الخط الحيرى الانبارى الذى أخذ منه الكوفى .

هذا والانباط أو النبط لانعرف مواطنهم الأولى قبل نزوحهم إلى سيناء وما حولها ويظن أنهم رحلوا اليها واستوطنوها بين القرنين الرابع والخامس قبل الميلاد ، وامتد سلطانهم على شقة طويلة من الأرض تمتد شمالا إلى دمشق وجنوبا إلى جهة العلا والحجر من أرض

الحجاز ، بدليل ماوجد من آثارهم فى مواضع شتى من هذه الشقة . وكانت حاضرتهم سلع أو البتراء التى أنشئت فوق هضبة ذات صخور براقة وظلت أكثر من ٥٠٠ سنة مدينة تجارية هامة تقع على الطريق التجارى العظيم بين سبأ والبحر المتوسط/ وفى عهد الحارث الأول من ملوكهم كانوا حلفاء للروم ، وفى عهد الحرث الرابع وصلت دولة الأنباط إلى أقصى حدودها السابق بيانها ، وقد قضى عليهم الروم بدخولهم البتراء سنة ١٠٥ م

وتدل أسماء الأعلام التى وجدت فى نقوشهم على أنهم عرب ؛ وكذلك أسماء الأصنام من اللات والعزى . والحق أنهم فريقان فريق نبطى خالص ، وهم من السلالات الآرامية . وفريق خالط العرب مخالطة واسعة النطاق فصاروا منهم ، وهؤلاء — وإن كانت عربيتهم فيها شىء من العجمة واللكنة — قد ساهم خطهم مساهمة مباشرة قوية فى الخط الكوفى أو العربى الاسلامى ، كما يتضح من قراءة النقوش التى سلف بيانها — ومن النقوش التى عثر عليها فى نواح أخرى .

أما السريانية فخطها (كما تعلمون) قريب جدا إلى الحيرى والانبارى والكوفى أى الخط العربى الذى كان أصلا لخطنا الذى نكتبه الآن .

وبعد فقد وصلنا الى النتيجة الآتية وهى أن الخط العربى لعرب الشمال قد ساهم فى مراحله الأولى خط السريان وخط الأنباط — وقد

قلنا كلمة عن الأنباط ، فلنسمع مثلها عن السريان.

السريان ـ أهل اللغة السريانية والخط السرياني ـ كان مركزهم مدينة اذاسا وهي أرفه أو الرها .

وكلمة سريان ـ التي غلبت على أهل الرها بدل آرام ـ لم تحدث إلا بعد اعتناقهم المسيحية ، وبعد أن تغلبت دويلة الرها على دويلات في شمالي سورية ـ وكانت العناصر الآرامية التي اعتنقت المسيحية تنفر من كلمة آرامي، إذ كانت في التوراة تمثل الوثنيين ـ وربما كان الذي أطلق عليهم اسم السريان هم الاغريق بعد أن اتصلوا بهم في سورية الشمالية ، وللسريان قبل المسيحية وبعدها آثار عظمى في الأدب والفلسفة اليونانية عرفت بها الرها ، كما لهم مؤلفات دينية وقوانين اجتماعية هي غاية في الأحكام والجودة .

هذا ـ ولما اعتنق السريان المسيحية ، ونقلوا إلى لغتهم الأناجيل وغيرها من الصحف المقدسة ضبطوها خشية الخطأ في تلاوتها ، واختار المارونيون منهم وهم النسطوريون في هذا الضبط حروف المد يدونها على حروف الكلمة . كما فعل الأغريق والروم ، وكما يصنع أهل أوربا الآن ـ واختار اليعقوبيون منهم رموزا وهي نقط أو (شرط) توضع فوق الحرف أو تحته أو في وسطه لترشد إلى النطق به مفتوحا أو مكسوراً أو مضموما.

وعلى منوالهم هذا فى الضبط نسج الساميون عامة فى أعجام كتابهم أى إزاله عجمتها ، وهذا الصنيع فى الضبط يماثل ماحكى عن أبى الاسود الدؤلى حين سمع قارئا يقرأ « أن الله برىء من المشركين ورسوله » بجر « رسوله » فقال ما ظننت أمر الناس آل إلى ذلك ، فأراد أن يضع كتابا فى العربية يقوم الناس به ما فسد من كلامهم ، إذ كان ذلك قد فشا فى الناس فقال : أبتدئ بإعراب القرآن أولا ، فأحضر من يمسك المصحف وأحضر معه صبغا يخالف لون المداد ، وقال للذى يمسك المصحف عليه : اذا فتحت فاى فاجعل نقطة فوق الحرف ، وإذا كسرت فاى فاجعل نقطة تحت الحرف ، وإذا ضممت فاى فاجعل نقطة أمام الحرف ، وإذا أتبعت شيئا من ذلك غنة (تنوينا) فاجعل نقطتين : ففعل ذلك حتى أتى على آخر المصحف ، وقد جاء الخليل بن احمد من بعد أبى الأسود فوضع الهمزة والتشديد .

ولعلل ما صنعه أبو الأسود كان من توافق الخواطر ، أو أن طريقة السريان فى ضبط الحروف كانت شائعة ذائعة معروفة لدى الكاتبين والقارئين من العرب (وخلاصة الخلاصات فى نشوء الخط العربى يصح اجمالها على النحو الآتى :-

- الهيرغليفي
  - السينائي
    - الكنعاني أي الفينيقي
      - المسند الحميري
        - اللحياني
        - الثمودي
        - الصفوي
          - لأهل العربية الجنوبية من القحطانيين
      - السرياني القديم والحديث
        - لأهل العربية الشمالية
      - النبطي القديم والحديث
        - الحيري والانباري او نبطي العراق
          - الكوفي ـ ومنه اشتقت الخطوط العربية الحالية

وبعد فقد انتهينا إلى أن الكوفى خط عرب الشمال ، وهو الخط العربى الذى استنبطت منه الأقلام المعروفة الآن ، وهو فى الأصل نوعان : المبسوط والمقور ، والأول هو المهندس ذو الخطوط والزوايا المحكمة الرسم ، والثانى غالبا هو الذى لايراعى فيه كثير من ذلك ويسمى باللاين كخط الرقعة فى زماننا مثلا

وأول نقل الخط العربى من الكوفى إلى ابتداء هذه الأقلام المستعملة الآن كان فى أواخر دولة بنى أمية وأوائل خلافة بنى العباس ، وكان فى أول أمره أدنى إلى الكوفى ثم بعد عنه شيئا فشيئا إلى أن وصل إلى ماوصل اليه من الجودة .

ففى أواخر أيام بنى أمية اشتق كاتب اسمه قطبة المحرر من الكوفى الذى كانت تكتب به المصاحف أيام الراشدين أربعة أقلام وفى أوائل العباسية انتهت جودة الخط إلى رجلين من أهل الشام يقال لهما الضحاك ابن عجلان واسحاق بن حماد وكان الأول فى خلافة السفاح فزاد على ما ابتدع قطبة ، وكان الثانى فى خلافة المنصور والمهدى - فزاد على ما استنبط الضحاك حتى صارت الأقلام ١٢ قلما لكل منها مقام ، ثم أخذ ابراهيم السنجرى (السجستانى) عن اسحاق قلمه الجليل ، واخترع قلما أخف منه سماه الثلثين ، واخترع من الثلثين قلما سماه الثلث .

وأخذ يوسف عن أخيه ابراهيم هذا عن اسحاق جليله ، واخترع

فلما أدق منه سماه التوقيع فأعجب به ذو الرياستين الفضل بن سهل — وزير المأمون — وسماه القلم الرياسى ، وأمر ألا تحرر الكتابة السلطانية إلا به وحده .

وأخذ عن ابراهيم أيضاً الأحول، واخترع من قلميه الثلث والثلثين قلماً سماه النصف ، وقلما أخف من الثلث سماه خفيف الثلث ، وقلما متصل الحروف ليس فى حروفه شىء ينفصل سماه المسلسل ، وأقلاما أخرى سماها بأسماء مختلفة ، وظل الكتاب بعد ذلك يتفننون فى الخط باختراع أنواع جديدة ،ويتفننون فى الأنواع السابقة فى بغداد ومصر،حتى انتهت رياسة الخط بمصر إلى طبطب المحرر فى عهد ابن طولون .

ثم انتهت جودة الخط وتحريره على راس الثلثمائة إلى الوزير أبى على محمد بن مقلة وأخيه أبى عبد الله ، وكان المعروف بين الناس أن ابن مقلة هو أول من نقل الخط العربى من الكوفى وليس بصحيح بدليل الذين سبقوه ممن ذكرنا ، وقد وجد من الكتب ماهو مدون بخط جماعة من الكتاب المجيدين قبل المائتين ، لا بالكوفى ، بل بخط يقرب كثيرا من الأوضاع التى استقرت بعد الثلثمائة وإن كان عليه مسحة من الكوفى لقرب زمن النقل من الكوفى .

أما ابن مقلة وأخوه فقد أجادا وولدا طريقة اخترعاها وبرزا فيها على كتاب زمانهما وتفرد أبو عبد الله بالنسخ .

وتفرد الوزير بنوع يسمى الدرج ، هندس حروفه واجاد تحريرها ، وعنه انتشرت هذه الطريقة فى مشارق البلاد ومغاربها على أنه المبتكر لها أو انه أول من أبدعها من الكوفى . وأخذ عنه محمد بن السمسانى ومحمد ابن أسد ، وعنهما أخذ أبو الحسن على بن هلال المعروف بابن البواب المتوفى سنة ٤١٣ وهو الذى أكمل قواعد الخط وتممها . واخترع غالب الأقلام التى أسس أصولها ابن مقلة ـ وهو الذى يذهب إلى أن ثانية السين تكون أطول من أولاها ، وممن أخذ عن ابن البواب محمد بن عبد الملك وعنه أخذت الشيخة الكاتبة المحدثة زينب الابرية ، الملقبة بشهدة ، وعنها أخذ كثير من الكتبة كامين الدين ياقوت بن عبد الله الرومى المستعصمى ٦٩٨ الملقب قبلة الكتاب ، وكمحمد بن علىّ المكتّب بالفسطاط ، فشعبان بن محمد الآثارى محتسب مصر ، وقد صنف ثانيهم مختصراً فى قلم الثلث ، ونظم الثالث فى صنعة الخط ألفية لم يسبق إلى مثلها .

أما ألقاب الأقلام السابقة : فالجليل ، هو غالبا ما نسميه فى عصرنا بالجلى ، والثلث ونحوه مختلف فى أصله فيذهب الوزير ابن مقلة إلى أن للخط الكوفى أصلين من أربع عشرة طريقة هما لها كالحاشيتين ، وهما قلم الطومار ، وهو قلم مبسوط كله ليس فيه شىء مستدير وكثيرا ما كتبت به مصاحف المدينة القديمة ، وقلم غبار الحلبه ، وهـــو قلم

ومستدير كله ليس فيه شيء مستقيم - فالأقلام كلها تأخذ من المستقيمة والمستديرة نسباً مختلفة : فان كان فى المكتوب من الخطوط المستقيمة الثلث ، سمى قلم الثلث ، وإن كان فيه الثلثان سمى قلم الثلثين ، وهكذا .

وذهب بعض الكتاب إلى أن هذه الأقلام منسوبة إلى قلم الطومار فى العرض وهو الذى كانت الخلفاء تكتب علاماتهم به فى الزمن المتقدم أى فى أيام بنى أمية فمن بعدهم ، فقلم الطومار وهو أجل الأقلام عرضه ٢٤ شعرة من شعر البرذون ، وقلم الثلث منه بمقدار ثلثه ، وهو ثمان شعرات ، وقلم النصف بمقدار نصفه ، وهو اثنتا عشرة شعرة ، وقلم الثلثين بمقدار ثلثيه ، وهو ثمان عشرة شعرة - وعلى هذا المذهب شعبان الآثارى فى ألفيته .

وقد روى أن عمر بن عبد العزيز أتى بطومار ليكتب فيه فامتنع وقال : فيه ضياع الورق ، وهو من بيت مال المسلمين - وهذا دليل على أنه كان موجودا من قبل ، ويظن أنه كان من أيام معاوية ، فهو الذى قرر أمور الخلافة ورتب أحوال الملك - ولا بد أن يكون منها الخط والكتابة ، ومعنى الطومار (الفرخ الكامل من الورق ، وبالضرورة لا يكتب فى الطومار إلا بقلم الطومار السابق بيانه - وكان يتخذ من لب الجريد الأخضر ، ثم كان فى أيام المماليك يتخذ من القصب الفارسى الأبيض ، وهو الذى كنا (معشر القرويين) نكتب به ألواحنا فى

الكتاتيب ، وأظنه لا يزال كذلك ـ وكان قلم الطومار يشق ثلاثة شقوق أو أكثر ليتوزع منها جميعها المواد على الورق بسهولة .

ويظهر لى من تتبع الكتابات أن كلمة مبسوط فى الكتابة يراد بها ان الحروف التى من مثل الباء وأختيها والراء وأختها ونحوهما كالدال المتطرفة ترسم مرسلة (بد ط ف و م ر ى ب ر و ،) وكلمة مستدير أو مقور يراد بها أن تكون مجموعة (ں ر و د) وفى هذا كفاية ـ ومن أراد الاستزادة فليراجع صبح الأعشى للقلقشندى من أول الجزء الثالث.

وبهذه المناسبة نقول : من ذا الذى وضع مطلق الحروف للبشر ؟! ومن ذا الذى وضع الحروف الهجائية العربية ؟

ذهب فريق من العلماء إلى أن الحروف الهجائية عامة ، كانت بالوحى من الله تعالى إلى آدم أو ادريس أو هود عليهم السلام، وقد ورد فى بعض الأحاديث النبوية المحمدية مايؤيد هذا ، حتى لقد نص فيما ورد من ذلك على (اللام مع الألف) وانها حرف واحد مستقل ، ومعنى هذا أن الحروف كاللغة توقيفية لاوضعية. وهو مذهب ضعيف بعيد عن الصواب ، وأحاديثه لم ترد إلا فى الكتب التى تعنى بأسرار الحروف فى كتابة التمائم والتعاويذ ونحوها ، وأقل مافى هذا المذهب من الخطر وقف العقل الانسانى عن التفكير ، والحيلولة بينه وبين مواصلة البحث

والتنقيب للوصول إلى حقائق الأشياء .

والحق أن الكتابة والخط من وضع البشر ، وأن الوحي الوارد في بعض الأحاديث معناه الالهام ، ذلك لأن فضيلة البيان التي تميز الانسان عن الحيوان يتقاسمها اللفظ والخط فكلما كان الانسان ناطقاً كان كاتبا ، فاذا أراد التعبير عن مقاصده من قرب نطق لسانه ، وإذا أراد تأدية ذلك إلى من بعد عنه نقش بنانه ، وعليه فآلة اللفظ اللسان ، وآلة الخط القلم ، وكل منهما يفعل فعل صاحبه في الابانة عن المعاني ، ولما تقاسمت الآلتان الدلالة ، نابت احداهما عن الأخرى ، ومن ثم أطلقوا اسم اللسان على القلم فقالوا : الأقلام ألسنة الافهام ، وشركوا بينهما في الاسم فقالوا : القلم أحد اللسانين .

ويروى عن ابن عباس أن أول من وضع الحروف العربية ثلاثة رجال من بولان (وبولان من طيء) ، نزلوا من مدينة الأنبار وهم مرامر بن مرة وأسلم بن سدرة وعامر بن جدرة ، اجتمعوا فوضعوا حروفا مقطعة وموصولة ، ثم قاسوها على هجاء السريانية فأما مرامر فوضع الصورة ، وأما أسلم ففصل ووصل ، وأما عامر فوضع الأعجام ، ثم نقل هذا القلم إلى مكة وتعلمه من تعلمه وكثر في الناس وتداولوه نقلا عن هؤلاء وتقليداً لطريقتهم .

والذي يفهم من هذه الرواية فهما صحيحاً : أن كتابة الحجاز ونجد

الآن ، على أنهم زادوا عليه أنواعا أخرى حتى صارت إلى نحو ٧٠ نوعا .

وكانوا فى جميع أيامهم يستعملونه فى تآليفهم وكتبهم ورسائلهم ، ومنهم انتشر فى بلاد المشرق عامة منسوبا إليهم - وكثيرا ما نجد الكتب المطبوعة الآن فى الهند مثلا مكتوبة بالقلم النسخى ، مشروحة بالقلم الفارسى .

أما فى البلاد الغربية من مصر إلى المغرب الأقصى وبلاد الأندلس فقد دخل الخط العربى إليها مع الفتح الاسلامى ، وقد بلغ الخط الكوفى ببلاد الأندلس خاصة مبلغا عظيما جدا ، يتناسب مع حضارة الأندلس ولا نزال على جدران الحمراء من قصورها البديع الرشيق الرائق ، والجميل الجليل الفائق من هذا القلم ولا نزال فى مكتبة الاسكوريال صحف مخطوطة بأبدع الخطوط الاندلسية التى اشتقت من الخط العربى الذى دخل مع الفاتحين من المسلمين ايام بنى أمية ، غير أنه لما انهارت دولة المسلمين فى الأندلس بطل بالضرورة الخط العربى والتفنن فيه -

أما الخط فى بلاد البربر فانه لم يدخله شئ مما يسمى التحسين بل ظل قريبا إلى الكوفى على ما دخله من التقبيح حتى صار إلى الآن أردأ أنواع الخط العربى ، والكتب المكتوبة به متعبة مملة ، فما بالك بما اشتق منه أو انتشر عنه فى بلاد السودان وغانه

النقط والاعجام

تسمى الحروف العربية التي يتألف منها الكلام العربي ، بحروف المعجم ، ذلك لأنها لا معنى لها مفردة مقطعة ، وإنما تفهم أي تفيد معنى باضافة بعضها إلى بعض ، أو لأن منها ماينقط النقط المعروف ، أو تنقط كلها في معني تشكل ، ومهما يكن من شيء فان نقط الحروف المماثلة في الصورة يسمى أيضا إعجاما ، والمعجم في الاصطلاح ضد المهمل. ولما كانت الألف أول الحروف تنفرد بصورة واحدة. أما بقية الحروف فان منها ما يشترك اثنان في صورة واحدة كالطاء والظاء . أو ثلاث في صورة واحدة كالجيم والحاء والخاء . احتيج إلى مايميز بعضها من بعض وذلك بالنقط أو الاهمال حتى يزول الاشتباه .

قيل إن أول من وضع النقط في الحروف العربية ثلاثة من طيء : مرامر بن مرة وأسلم بن سدره وعامر بن جدرة (سبق انهم أول من وضع الخط) ـ وأول من نقط المصحف أبو الاسود الدؤلي . وهذا معناه الشكل حتما كما سلفت قصته ـ وصور النقط في أنواع الخط معروفة إلينا في الثلث والنسخ والرقعة والديواني والتعليق (الفارسي) كما أن مواضع نقط الحرف معروفة ، ويقال للتاء مثناة . وللثاء مثلثة . والفاء عند المغاربة تنقط من تحتها . والقاف تنقط بنقطة واحدة من فوق . والفرس ينقطون السين بثلاث من تحتها . والياء تنقط باثنتين من تحتها

أولا ووسطا . ويستغنى عنها فى المتطرفة لأمن اللبس . وبعض الكتاب ينقطها مطلقا يجعل نقطها من زينتها .

أما الشكل فهو ما يوضع فوق الحرف أو تحته للنطق به على الوجه الصحيح — كما تضبط الدابة بشكالها حتى لا تهرب — وقد أشرنا فيما سبق إلى أن السريان أول من ابتكروا هذا النحو من الضبط وعنهم أخذ المسلمون . فقد وجد من آثار الأموية والعباسية مايدل على أن النقطة فوق الحرف تدل على أنه مفتوح ومن تحته تدل على أنه مكسور . ومن وسطه تدل على أنه مضموم . ولما أخذ الكتاب يدخلون على الحروف من أصناف التحسين ما أدخلوا . عمدوا إلى الشكل أيضاً فأدخلوا فيه من التحسين حتى صار إلى ما نعهده الآن . وقد استقر فى زماننا على أن يختص الشكل ببعض أنواع الخط دون بعض . كالثلث والنسخ والأخير خط المصاحف . فالشكل ألزم له حتى يقرأ القرآن كما أنزله الله تعالى .

والرموز التى استقر عليها الناس فى زماننا هى :

(١) الفتحة : وهى ألف مضطجعة فوق الحرف . وفى حالة التنوين توضع ألفان مضطجعتان متوازيتان إحداهما فوق الأخرى باحكام .

(٢) الكسرة : ألف تحت الحرف مضطجعة . وفى حالة التنوين تكون من ألفين مضطجعتين.

(٣) الضمة : واو صغيرة توضع فوق الحرف . فان نون كررنا

منفصلتين أومتصلتين أو ثانيتهما راجعة ·

(٤) السكون : وهو إما دائرة كرأس الميم تدل على الحرف الأخير من كلمة جزم . أو رأس جيم صغيرة ترمز إلى الحرف الأول من هذه الكلمة .

(٥) الشدة : رأس سين صغيرة توضع فوق الحرف . فان كان مضموما أو مفتوحا وضعت الضمة أو الفتحة فوقه . وإن كان مكسوراً وضعت الكسرة تحت الحرف .

(٦) الهمزة : رأس عين صغيرة . توضع فوق الحرف المهموز ألفاً أو غيرها . وهى ترمز إلى الحرف الأخير من كلمة قطع . وفى الألف خاصة توضع الهمزة المكسورة من تحتها . وقد اختلفوا فى همزة اللام مع الألف المضفورة واختار الأكثرون ان ما يكتب أولا هو اللام وما كتب ثانيا هو الألف . واختار جماعة مع هذا أن تكتب الهمزة على ما يكتب أولا وإلا وقع اللبس فى ترتيب النطق . ولذا اختار فريق ثالث أن تكتب بينهما أو على اليسرى منهما .

(٧) المد ~ تكتب هذه العلامة فوق الحرف الممدود . وهى مختصر كلمة مد .

وقد يزيدون فى بعض أنواع الخط رموزا أخرى لزيادة التحسين فى شكله كالحاء الصغيرة توضع تحت الحاء ويتبع مثل ذلك تحت

السين والصاد والطاء والعين ، وكالهاء فوق الهاء المتطرفة ـ وكذلك يزيدون بعض الرموز ، كالميزان والظفر ، فى المواضع التى لم يملأ فراغها الشكل مبالغة فى التجميل ، وقد زاد بعض الكتاب فيها حتى طغت على الكتابة وبخاصة فى الثلث وجلى الديوانى .

(٨) الصلة : توضع صاد صغيرة فوق ألف الوصل رمزاً إلى أنها موصولة .

وصلى الله سوالف منن الله علينا بلواحقها .

وبعد فلا بد لنا ـ وقد فرغنا من بيان تاريخ الخط العربى ـ أن ننبه إلى الأمور الآتية :—

(١) ليس للحرف الواحد صورة واحدة فى الخط العربى ، ولا فى أصوله التى يرجع إليها . سواءأ كان قحطانيا أم عدنانيا ، فللألف فى النبطية قديمها وحديثها صور كثيرة متغايرة ، وهي كذلك فيما عثر عليه من كتابات العصر الأول الهجرى ، ويشارك الألف فى هذا التعدد كثير من حروف الهجاء الأخرى .

(٢) لم يعرف بعد متى استقل الخط العربى عن النبطى أو الحيرى الانبارى أو السريانى ، ولا عرفت المراحل التى قطعها حتى صار له طابعه الخاص الذى يميزه عن هذه الأصول ، وكذلك لا نعرف فى أى البقاع قطع هذه المراحل ، أفى بلاد سينا والشام أم فى بلاد الجزيرة والعراق ،

غير أنه مما لا شك فيه أنه انتقل من مهده الأول إلى بلاد الحجاز مع التجارة ومن جرائها .

(٣) إن الباعث الأول لنهضة الخط العربى هو سيدنا رسول الله النبيّ الأميّ محمد بن عبد الله بن عبد المطلب صلى الله عليه وسلم . أولا بوساطة كُتّاب الوحى الذين كتبوا صحف الكتاب العزيز ومن نقلوا عنهم ممن هداهم الله إلى الاسلام وعادوا إلى قومهم بصحفهم يتلونها عليهم ثم بوساطة ماكتبه رسول الله إلى الملوك بعد أن جاء نصر الله والفتح ودخل العرب فى دين الله أفواجا ، وعلى آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم قفى خلفاؤه الراشدون من بعده ، فما كاد عثمان بن عفان يرسل بمصاحفه إلى الآفاق ، حتى تسابق الناس إلى نسخها وتنافسوا فى كتبها ، وتفنن أهل كل مصر فى نسخ المصحف على حسب طريقتهم فى الكتابة . وبذلك صار الخط العربى (خط المصاحف) ينهض ويرتقى ويسير مع الفتح الاسلامى خطوة خطوة حتى عم مشارق الدنيا القديمة ومغاربها

والملحوظ بعد هذا أن هذا الخط المحمدى تلون فى البيئات المختلفة بألوان مختلفة ، فضلا عن أنه تنوع فى الاقليم الواحد فصار أقلاما ، لكل قلم سماته الخاصة ، وكان فى كل اقليم بحسب درجة هذا الاقليم فى العمران ، لأنه من جملة الصنائع كما سلف عن ابن خلدون .

(٤) وقد طغى هذا القلم على جميع الأقلام التي كانت مستعملة في الجزيرة العربية والبلاد التي فتحها المسلمون فيما بعد . كما محى الدين الاسلامي أديان العرب في الجاهلية وغيرها من ديانات الفرس والترك وغيرهم .

وقد كتبت أمم كثيرة من غير العرب لغتها بهذا القلم ، كالهنود وأهل الملايو وفلبين والفرس وأهل الصين والترك من أهل آسيا، وكذلك المصريون والبربر وأهل السودان ، وأهل أوربا من مسلمي قازان بالروسيا وممالك البلقان وغيرهم ، بل انه دخل الأمريكتين مع المهاجرين السوريين ، ويقال أن عدد الذين يكتبون بهذا القلم من أهل الأرض الآن يزيد على ٢٠٠ مليون .

ومما يؤسف له أن الأتراك الذين كانوا خلفاء المسلمين ، والذين كتبوا لغتهم بهذا القلم المقدس (قلم القرآن المجيد الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه) منذ القرن السابع الهجري ، هجروه إلى خط النصرانية بعد أن أبلوا بلاء حسنا في الخط ، وانتهت إليهم الرياسة فيه ، وزادوا على أنواعه أنواعا ، ونشروه مع فتوحهم في أوربا من أبواب القسطنطينية إلى أبواب فيينا ، وزعموا أن ذلك من أهم وسائل نهضتهم الحديثة . ولكل وجهة هو موليها .

الوزير ابن مقله

هو أبو علي محمد بن علي بن الحسن أو الحسين بن مقلة الوزير، صاحب الخط الذي تضرب بحسنه الأمثال، قيل أنه أول من نقل الخط العربي من أصله الكوفي إلى الأقلام التي استعملت فيما بعد ودخل فيها التحسين على طول الأيام إلى أن صارت على ما نكتب به الآن، هو هذا الامام الجليل، وهو خطأ فانه قد عثر على كتب بخط السابقين في أواخر خلافة بني أميه وأوائل خلافة بني العباس، وخطها ليس على صورة الكوفي بنوعيه المبسوط والمقور وإن كان إليه أميل لأنه من زمن الكوفي أقرب.

ويظهر أن الوزير ابن مقلة ساهم في تهذيب الخط مساهمة قوية انتهت إلى أن المتبعين طريقته والمنتمين إليه والناسجين على منواله جعلوه المبتدع الأول لهذه الحروف من أصلها الكوفي وسارت بهذه البدعة الركبان في أطراف البلدان دعاية للوزير وتنويهاً بشأنه وبراعته ونبوغه —

كان ابن مقلة في أول أمره كاتبا في بعض الدواوين بدنانير معدودة في الشهر، ثم انه تعلق بأبي الحسن بن الفرات وزير المقتدر الخليفة العباسي الذي استخلف سنة ٢٩٥ للهجرة. فرفع من قدر ابن مقلة،

إذ أنه كان بين يديه يعرض عليه رقاعا فى مهمات الناس وينتفع بسبب ذلك ، فما زال كذلك حتى علت حاله وكثر ماله .

ولما ولى ابن الفرات الوزارة الثانية ، تمكن ابن مقلة فى دولته وارتقت حاله وعرض جاهه ، ثم نزغ الشيطان بينهما فدخل فى جملة أعدائه والساعين به ، حتى نكب ابن الفرات وعزل . فلما عاد إلى الوزارة قبض على ابن مقلة . وصادره على مائة ألف دينار أدتها عنه امرأته وكانت ذات مال طائل .

ـ ثم استوزره المقتدر وخلع عليه خلع الوزارة . فاستقل بأعبائها أمراً ونهيا وبذل فى الحصول عليها خمسمائة ألف ، ثم عزل وقبض عليه ، ثم أعيد ، وما زالت تتقلب به الأحوال حتى استوزره الراضى . ثم جرت خطوب أوجبت أن الراضى حبسه بداره وضيق عليه ثم سعى به أعداؤه عند الراضى وخوفوه غائلته فقطع يده اليمنى ومكث فى السجن مدة مقطوع اليد وكان ينوح على يده ويقول :

يد كتبت بها كذا كذا مصحفا ، وكذا كذا حديثا من أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم ، ووقعت إلى شرق الأرض وغربها ، تقطع كما تقطع يد اللصوص ؟ ومن شعره يشير إلى قطع يده .

ما مللت الحياة لكن توثقـ ... ـت بأيمانهم فبانت يمينى
ثم أحسنت ما استطعت بجهدى ... حفظ أرواحهم فما حفظونى

ليس بعد اليمين لذة عيش   ياحياتى بانت يمينى فبينى

وفيها يقول بعض الشعراء :

لئن قطعوا إحدى يديه مخافة   لاقلامه لا للسيوف الصوارم

فما قطعوا رأيا إذ ما أجاله   رأيت الردى بين اللها والغلاصم

ولما قطع الراضى يد ابن مقلة ، كتب باليسار ، مثل ماكان يكتب باليمين .

ثم شد على يده المقطوعة قلما وكتب بها ، فلم يفرق بين خطه قبل قطعها وبعده .

والمعروف أن ابن مقلة تولى الوزارة ثلاث مرات ولعدة خلفاء ، ووقعت له حوادث ومحن ، حتى قطعت يده ولسانه ، وحبس حتى مات.

قيل انه ولى بعض أعمال فارس ، ثم وزر المقتدر سنة ٣١٦ ، ثم قبض عليه وصادره وحبسه عامين ، قال الصولى : ما رأيت وزيرا منذ توفى القاسم بن عبيد الله أحسن حركة ، ولا أظرف اشارة ، ولا املح خطا . ولا أكثر حفظا . ولا أسلط قلما . ولا أقصد بلاغة . ولا آخذ بقلوب الخلفاء من محمد بن على (يعنى ابن مقلة) . ثم قال : وله بعد هذا كله . علم بالاعراب وحفظ اللغة . وقال محمد بن اسماعيل الكاتب :

لما نكب ابو الحسن بن الفرات أبا على ابن مقلة . لم أدخل عليه في حبسه . ولا كاتبته خوفا من ابن الفرات . فلما طال أمره كتب إلىّ يقـول :

ترى حرمت كتب الاخلاء بينهم … أبن لى . أم القرطاس أصبح غاليا
فما كان لو ساءلتنا كيف حالنا … وقد دهمتنا نكبة هى ماهيا
صديقك من راعاك عند شديدة … وكل تراه فى الرخاء مراعيا
فهبك عدوى لاصديقى . فربما … تكاد الأعادى يرحمون الأعاديا

وأنفذ إلى الوزير ابن الفرات فى طى ورقة محمد بن اسماعيل ورقة فيهـــــا .

أمسكت أطال الله بقاء الوزير ـ عن الشكوى ، حتى تناهت البلوى فى النفس والمال والجسم والحال ، إلى ما فيه شفاء المنتقم ، وتقويم المجترم ، حتى افضيت إلى الحيرة والتبلد ، وعيالى إلى التهتك والتشرد ، وما أبداه الوزير ـ أيده الله ـ فى أمرى إلا بحق واجب ، وظن غير كاذب . وعلى كل حال فلى ذمام وحرمة . وصحبة وخدمة . إن كانت الاساءة أضاعتها . فرعاية الوزير أيده الله ـ تحفظها . ولا مفزع إلا إلى الله بلطفه . وكنف الوزير وعطفه . فان رأى ـ أطال الله بقاءه ـ أن يلحظ عبده بعين رأفته . وينعم باحياء مهجته . وتخليصها من العذاب الشديد . والجهد الجهيد . فليجعل له من معروفه نصيبا ومن البلوى فرجا قريبا .

والمشهور أن ابن الفرات نكب ابن مقلة بعد أن تولى الوزارة لثالث مرة بعد حامد بن العباس وزير المقتدر.

ولما خلع المقتدر سنة ٣١٧ وولى القاهر بالله. استوزر ابن مقلة. غير أن القاهر لم يلبث إلا ثلاثة أيام ثم خلع وولى المقتدر. فقبض على ابن مقلة وأمر باحراق داره وكانت عظيمة. وقد ظلم الناس فى عمارتها مدة وزارته. وكانت سنتين وأربعة أشهر وعشرة أيام.

ولما مات المقتدر وتولى بعده القاهر الخلافة سنة ٣٢٠ استوزر ابن مقلة. ثم تأكدت الوحشة بينهما لخلعه وأحرق داره. كما أحرقت من قبل ثم اختفى ابن مقلة وبعد حين ظهر وعمل مع الوزير محمد بن ياقوت الذى كان وزيرا الراضى بن المقتدر الذى استخلف بعد خلع القاهر وسمله. وهو أول خليفة سملت عيناه اتقاء شره.

وفى سنة ٣٢٣ استكتب الراضى الوزير ابن مقلة لولديه وفى هذه الأيام بلغه أن أحد المعروفين بالقراءة يغير حروفا من القرآن ويقرأ بغير ما أنزل الله. فأحضره واحضر جماعة من القراء بينهم القاضى فأغلظ المقرئ لهم جميعا ورماهم بالجهل. فأمر الوزير ابن مقلة بضربه فضرب، فدعا على الوزير بأن تقطع يده ويشتت شمله ـ فأجاب الله دعاءه على ماسترى.

وفى هـذه السنة قبض الراضى على وزيره محمد بن ياقوت ، فعظم شأن ابن مقلة ، إذ استقل بتدبير الدولة .

ولمامات الراضى وتولى الخلافة بعده اخوه المتقى بن المقتدر ، حصلت فتن شديدة فى دار الخلافة ، كادت تجتاح ابن مقلة اجتياحا ، فلما وصل محمد بن طغج الأخشيد طلب إلى ابن مقلة ان يهاجر معه إلى مصر فأبى ، فلما خلع المتقى وولى المستكفى ثم خلع وولى المطيع ، دبر اعداء ابن مقلة عليه وسعوا فى هلاكه ، فقبض عليه واحرقت داره المرة الثالثة

* * * *

وفى سنه ٣٢٦ قطعت يد ابن مقلة ثم قطع لسانه ومات فى حبسه سنة ٣٢٨/ وسبب نكبته هذه هو انه اتهم بأنه يطمع بحكم احد أمراء الأتراك فى الحضرة ، فاستفتى الخليفة القضاة فى أمره ، فيقال انهم افتوا بقطع يده ـ ولم يصح ذلك ـ فأخرجه الخليفة من السجن إلى الدهليز وقطع يده بحضرة الأمراء ، ثم قطع ابن رائق لسانه حينما شمريدنو بحكم من بغداد ـ هذا ولم يترك ابن مقلة حرفا من حروف الهجاء لم يعالجه بالشرح معالجة المربى القدير .

ابن البواب

هو ابو الحسن على بن هلال الكاتب البغدادى الشهير بابن البواب المتوفى سنة ٤١٣ هـ كان من المجيدين للخط الناسجين على منوال ابن مقلة المبتدعين لأنواع منه تزيد على ما أحدثه استاذه مع اخيه ابى عبد الله، وله قصيدة من البسيط يذكر فيها صناعة الخط وموادها من احسن ما كتب فى هذا المضمار واولها .

يامن يروم اجادة التحرير ويروم حسن الخط والتصوير

ومنها فى كيفية برى القلم

واجعل لجلفته قواما عادلا يخلو عن التطويل والتقصير
وإذا عهدت ابريه فتوخه عند القياس ماوسط التقدير
والشق وسطه ليبقى بريه من جانبيه مشاكل التقدير
حتى إذا اتقنت له ذلك كله إتقان طب بالمراد خبير
فاصرف لرأى القط عزمك كله فالقط فيه جملة التدبير

وكلها على هذا المنوال فى ليقة الدواة ومعالجتها بما يصلحها .

نبيه : وقعت بعض أغلاط مطبعية لا يخفى على القارئ تصحيحها ، غير أننا رأينا التنبيـه على
ها فى الجدول الآتى :—

ص	خطأ	صواب	س	ص	خطأ	صواب
٢	اختلف	اختلفت	٣	٢١	مع	معا
٥	كتابنها	كتابته	١٧	٢٢	الخط الفاطمى	الخط العربى
٦	ندث	ندس	٩	٢٥	حتى	الذى
١٠	سابقه	من سابقه	٧	٣٣	من الله	مننه
١٥	عملاق	عجلان	١٧	٣٥	ثمما	فينا (ويانه)
١٥	السنجرى	السجزى	٣	٣٦	انه	ان
١٩	المواد	المداد	١٧	٣٧	نوثقت	نوثقة ت

حتى إذا اتقنت له ذلك كله ‍ ‍ إتقان طب بالمراد خبير
فاصرف لرأى القط عزمك كله ‍ ‍ فالقط فيه جملة التـــدبير

وكلها على هذا المنوال فى ليقة الدواة ومعالجتها بما يصلحها .